الأسماء الثنائية في اللغة العربية ☆

الدكتور عبدالهادي الفضلي
استاذ اللغة العربية في كلية الفقه
(النجف الاشرف)

الاسماء الثنائيات في اللغة العربية ـ كما ينص هنري فليش ـ «مقتصرة على سبع وثلاثين كلمة» (1)

وقد بحثها المستشرقون وبعض علماء اللغة العربية المحدثين بحثا انتهى بجملة منهم الى ان « القول بالاصل الثنائي ثابت ومقبول » (2) .

غير ان انتهاء اللغويين الاقدمين الى القول بان الاسماء ثلاثية الاصول دعاهم الى ان يقفوا من الاسماء الثنائيات موقفا مضطربا ، فيه شيء من المحاولة التي قد لا تعد ناجحة الى درجها ضمن الاسماء الثلاثيات ، وغير ما يلمح الى القول بثنائيتها ايضا .

والذي لاحظته اننا نستطيع ان نصرف هذه الى الطوائف التالية :

1 ـ الاسماء العامة ، امثال : يد ، دم ، اخ ، اب ، حم ، فم .

2 ـ اسماء الافعال ، امثال : صه ، مه ، وي .

3 ـ اسماء الظروف ، امثال : اذ ، مع ـ على القول بظرفيتها ـ .

4 ـ اسماء الاشارة ، امثال : ذا ، ذي ، تا ، تي ، ذه ، ته .

5 ـ الاسماء الموصولة ، امثال : ذو (الطائية) ، من ، ما .

6 ـ اسماء الاستفهام ، امثال : من ، ما ، كم .

7 ـ اسماء الشرط ، امثال : من ، ما .

8 ـ الضمائر ، امثال : هو ، هي ، هم ، نا .

وفيما يبدو لي اننا متى حاولنا الكشف عن واقع كل من هذه الطوائف نجد ان اسماء الافعال منها ، لاتندرج ضمن نوع من انواع الكلمة لانها اصوات خاصة تعبر عن نوع من الانفعالات الخاصة ، وتلمس ذلك واضحا اننا لانقولها الا مصحوبة بانفعال تبدو اماراته على ملامح وجوهنا .

اما الظروف والاشارة والموصولات والاستفهام والشرط والضمائر ، فهي ادوات تستعمل وسائل يتوصل بها الى معان اخرى ، ونتبين ذلك من تضمنها معاني حرفية نسبية ، قائمة بين طرفين ، لاتستطيع ان تستقل في اعطائنا معانيها الخاصة . فهي ـ فيما

---

1) العربية الفصحى ص 52 (المعربة)
2) دراسات في اللغة ، الدكتور ابراهيم السامرائي ص 161

أراه ـ ينبغي أن تدرج ضمن الحروف ، لتأخذ مجموعة هذه الادوات طابعا موحدا فى مداليلها ومعانيها.

واللغويون متفقون على ثنائية الاصول فى الحرف، وكذلك الامر فى الاصوات . والاختلاف فى العمل النحوي أو فى مواقعها فى الجملة العربية اعرابا وبناء عاملة ومعمولة ، لايضير فى توحيدها من حيث المعنى ـ بصفتها أدوات ـ ضمن مجموعة خاصة .

ومن هنا نستطيع أن ننتهي الى ان الاسماء الثنائيات فى اللغة العربية تقتصر على ما اسميته بـ (الإسماء العامة) والتي اعني بها ما عدا الادوات والاصوات .

ولعلماء اللغة العربية حول هذه الامثلة رأيان: القول بثنائيتها ، والقول بثلاثيتها .

وقد استدل القائلون بثنائيتها : بوجودها ثنائية فى بعض اللغات السامية ، فقد وردت كلمة (فم) ثنائية فى اللغة العربية واللغة الاكدية (الاشورية والبابلية) ولغات جنوب الجزيرة والحبشة .. ووردت كلمة (سم) ـ اسم ـ وكلمة (دم) وكلمة (يد) ثنائية فى اللغة العبرية وفى لغات جنوب الجزيرة والحبشة .. وجاءت كلمة (اخ) ثنائية فى اللغة العبرية ، وكلمة (حم) ثنائية فى لغات جنوب الجزيرة والحبشة (3) وهكذا .

وانتهوا من هذا ايضا الى انها « ترجع الى اساس لغوي سحيق » (4) ، الى مرحلة تاريخية بدائية ، كانت اللغة العربية فيها ثنائية الاصول ، وقد استطاعت هذه الاسماء أن تغالب التطور فتفلت من تاثيره ، وتحافظ على أصلها الثنائي .

واستدل القائلون بثلاثيتها : باستعمالها ثلاثية عند تصغيرها وتثنيتها والنسبة اليها ـ وهي من المباديء التي ترجع الاسماء الى اصولها ـ فيقال في يد (يدية) وفي دم (دمي) ، ويقال فى النسب (يدوي) و (دموي) و (ابوي) و (اخوي) ، ويقال فى التثنية (فموان) و (يديان) و (دميان) و (دموان) ، واستشهدوا لذلك بالنصوص التالية :

يديان بيضاوان عند محجز
قد يمنعانك ان تذل وتقهرا
هما نفثا في فيّ من فمويهما
على النابح العاوي اشد رجام
فلو انا على حجر ذبحتما
جرى الدميان بالخبر اليقين (5)

ومن هنا قالوا باعراب هذه الاسماء لانها ثلاثية فلم تشبه الحرف فى الوضع ، وقالوا ببناء ما سواها من الثنائيات لانها اشبهت الحرف بالوضع .

ويبدو ان القول بان الشبه الوضعي عامل من عوامل بناء الاسم لايقوم على اساس ، وذلك لان الثنائيات المبنية من اسماء الاستفهام والشرط والاشارة والموصولة والضمائر شبهها الحرف قائم فى معناها ..

وامثال (مع) و (عل) لا تكون بحاجة الى التكلف فى عدها ثلاثية بتقدير حرف ثالث لها لا حجة تدعم وجوده وحذفه .

وربما كان عدم اعتبار مشابهة الاسم الحرف فى الوضع عند كثيرين من النحويين هو ما اشرت اليه من مجيء الثنائيات على نوعين من الاستعمال معربة ومبنية بما لا يقوم معه قياس فى صوغ قاعدة عامة ، يقول الصبان فى حاشيته على شرح الاشموني : « وانما قدم الوضعي مع انكار كثيرين له تقديما للحسي او اهتماما به لكونه فى مظنة المنع » (6) .

على اننا ـ فيما وقفت عليه ـ لا نقوى على الاقتصار على شبه الحرف وحده عاملا فى بناء الاسم ، وذلك لورود جملة من الاسماء المبنية لا شبه لها بالحرف ، امثال : حذام ونوار وامس وما يجري مجراها .

وقد نذهب الى اكثر من هذا : وهو ان شبه الحرف بصفته عاملا اساسيا فى بناء الاسم لديهم وبخاصة الشبه المعنوي ، نراه متخلفا فى بعض الامثلة كبعض مفردات الظروف مثل (مع) ، والظرف من معاني الحروف ، وله من امثلته ما هو مبني كاذ . ولعل محاولة بعضهم فى ان يوجه اعراب (مع) بمعارضة

---

3) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ص 283 ـ 286 ـ 291 ـ 294 .
4) العربية الفصحى ص 53
5) مجالس العلماء ، الزجاجي ص 237 ـ 238 .
6) ج 1 ص 15

لزومها للاضافة ـ وهي من خصائص الاسماء ـ لشبهها بالحرف ما يشعر بذلك .

وربما كان المنهج الذي ينبغي ان تقام على اساس منه نتائج بحث مسألة البناء في الاسماء ـ تمشيا مع راي النحاة الاقدمين ـ ان نقسم الاسماء المبنية الى قياسية وسماعية ، ابوابا ومفردات ، فيقال : اسماء الشرط واسماء الاستفهام كلها مبنية ، واسماء الاشارة والاسماء الموصولة كلها مبنية عدا المثنى منهما .. وهكذا ، المفردات المبنية هي : حذام ، واذ ، .. والخ .

وفي أمثال يد ودم التي جاءت معربة لا يتساءل عن علة اعرابها ما دام الوصل في الاسماء والاعراب ، والشبه الوضعي لا يصلح ان يقوم عامل بناء .

ومتى حاولنا المقارنة بين هذين المذهبين اللغويين في الاسماء ذوات الصوتين نجد : ان الاصول الثنائية اقرب الى طبيعة اللغة بصفتها ظاهرة اجتماعية تتاثر بعوامل التطور الاجتماعي وتمر بمراحله من البدائية فالتصاعد الى مرحلة النضج .

ووجود تلكم الثنائيات ذوات صوتين في بعض الساميات ايضا مما يقرب انحدارها من اللغة الاصل ، وبقاءها متحدية عوامل التطور .

والشواهد على ثلاثيتها التي رواها اللغويون الاقدمون جاءت شذوذا ، يقول الصبان : « وكذا راعوه (يعني الاصل الثلاثي) في التثنية على شذوذ فقد جاء شذوذا يديان ودميان ودموان » (7) ، ويقول الزجاجي : « وقد قالت العرب على التمام : فموان ، فجعلوا الميم مكان الواو ، والواو مكان الهاء ، وهذا غلط منهم » (8) .

ونجد ايضا ان كلمة (يد) وردت في القرآن الكريم ثنائية في حالة تثنية في ثلاث وثلاثين آية .

وفي اب واخ وحم ، ربما نستطيع ان نثبت ثنائيتها ببقاء استعمالها حتى الآن ثنائية ، وان نذهب الى ان الثلاثية جاءتها نتيجة اشباع الحركات ومدها ، وبه نلتقي مع وجهة النظر القائلة بان حروف العلة في هذه الاسماء علامات اعراب .

على ان القول بان هذه القلة من الاسماء ذوات اصول ثنائية لايتنافى مع عد الثلاثية مبدءا عاما للتاصيل في اللغة العربية ، بعد ان يفهم ان هذه الثنائيات جاءت شذوذا بتحديها عوامل التطور اللغوي الذي مرت به العربية في عهود تاريخ حياتها كظاهرة اجتماعية.

وفيه مضافا الى ذلك ما يلقي الضوء على تاريخ بناء الاسم في اللغة العربية .

واخيرا : هذه محاولة تتطلب كثيرا من الدراسة الوافية التي قد تنتهي بنا الى نتائج مقبولة ، قمت بها لاشير الى بعض النقاط المهمة في المسالة .

---

7) ص 15 ـ 16
8) ص 237